المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العـــدد 17A أيـار 2025
No.17A May 2025

إعجاز تأثير القرآن الكريم في النفس البشرية

م . د. كوثر جلوب كاظم
وزارة التربية - مديرية تربية الرصافة الثانية -قسم الاعداد والتدريب
Mkma74@yahoo.com

ملخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد نبينا وشفيعنا محمد المبعوث رحمة وهدى للناس أجمعين . إنّ إعجاز القرآن الكريم له وجوه شتى وجوانب كثيرة فلم يتوقف عند روعة الألفاظ وجمال المعاني، ولا اخباره بالأمور الغيبية ولا بلاغته وفصاحته التي أعجز العرب بها ؛ بل هناك وجه آخر من أوجه الإعجاز ربما يغفل عنه كثيرٌ من الناس، ألَا وهو الإعجاز التأثيري للقرآن، والمقصود به ذلك الأثر الظاهر أو الباطن الذي يتركه القرآن على قارئه أو سامعه؛ فتذرف العيون ، وتفزع القلوب ، وتقشعر الأبدان، وتهدأ الأرواح وغيرها من الآثار الملموسة والمحسوسة التي يُحدثها القرآن الكريم في النفس الانسانية فتتأثر عند سماع آياته .

الكلمات المفتاحية : إعجاز، تأثير، النفس البشرية

The Miracle of the Holy Quran's Impact on the Human Soul

Dr. Kawthar Jalub Kazim
Ministry of Education - Second Rusafa Education Directorate - Preparation and Training Department

ABSTRACT

Praise be to God, and prayers and peace be upon the master of messengers and the best of human beings, our master Muhammad, and upon all his family and companions.The miracle of the Holy Qur'an did not stop at the splendor of the words and the beauty of the meanings. Rather, there is another aspect of the miracle that many people may overlook, which is the influential miracle of the Qur'an, which is meant by the apparent or hidden effect that the Qur'an leaves on its reader or listener. Sometimes it brings tears to the eyes, sometimes it makes the hearts ache, and sometimes it chills the body, and other practical effects that only the Qur'an produces in the soul.

Keywords: Miracle, Impact, Human Soul

المقدمة

لقد لفَت اللهُ سبحانه الأنظارَ إلى هذه القوة التأثيرية للقرآن على مخلوقاته ، فقال سبحانه وتعالى : (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [1] . يقول تعالى معظمًا لأمر القرآن ، ومبيّناً علوّ قدره، وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب ، وتتصدع عند سماعه ؛ لما فيه من الوعد والوعيد الأكيد: (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) أي: فإنْ كان الجبل في غلظته وقساوته، لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه، لخشع وتصدّع من خوف الله عز وجل، فكيف يليق بكم أيها البشر ألّا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله ، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه وما يحمل بين طياته من معاني سامية والفاظ تلامس القلب والوجدان .

[1] () سورة الحشر، الآية : 21 .

ومن هنا جاء بحثي الموسوم (إعجاز تأثير القرآن الكريم في النفس البشرية) وتأتي أهمية هذا البحث بما يأتي :-

1- اظهار ان القرآن الكريم ليس للعبادة فقط بل يحمل بين طياته فهما واقعيا للنفس الانسانية ومتطلباتها واحتياجاتها .
2- يقدم لنا حلولا وعلاجات لما يعتري النفس من مشكلات للوصول الى التوازن النفسي بأسلوب يعجز عن الوصول اليه أي كتاب آخر .

أما الهدف من هذا البحث :

1- تسليط الضوء على وجه من وجوه الاعجاز وهو دلالة بينة على عظمة القرآن وسمو

آياته ومدى تأثيرها على النفس البشرية .

2-تقرير الجوانب النفسية وما يخالجها من اضطرابات ودراستها وفق المنظور القرآني .

3-الاسهام في تعزيز التربية النفسية والجسمية وتحديد ملامح الشخصية المتكاملة كما حددها القرآن .

ومن أبرز الدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع قيد البحث :-

1- نظرات في القرآن لمحمد الغزالي
2- مفهوم الاعجاز لأحمد جمال العمري
3- النبأ العظيم لعبد الله دراز
4- التعبير القرآني والدلالة النفسية لعبد الله الجيوسي
5- من روائع القرآن لمحمد سعيد البوطي

أما المنهج الذي سرت عليه فكان المنهج الاستقرائي الوصفي وتطلبت طبيعة البحث أن أقسمه الى مبحثين وفق النحو الآتي : -

المبحث الأول : جاء تحت عنوان الاعجاز وأثره النفسي :-

المطلب الأول : دلائل التأثير في نفوس المؤمنين .

المطلب الثاني : دلائل تأثيره في الاخرين .

المطلب الثالث : حقائق وتجارب علمية.

المطلب الرابع : المنظور العلمي لتأثير القرآن في النفس البشرية .

المطلب الخامس : سطوة القرآن في نفوس معارضيه

أما المبحث الثاني فكان بعنوان : بواعث التأثير :-

المطلب الأول : أصالة الآيات .

المطلب الثاني : مراعاة القرآن للسليقة الانسانية .

المطلب الثالث : الاقناع العقلي والتأثير العاطفي .

المطلب الرابع : ايقاع اللفظ القرآني .

المطلب الخامس : تسلية النفس ومؤانستها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

المبحث الأول: الاعجاز وأثره النفسي

المطلب الأول: دلائل التأثير في نفوس المؤمنين

إن تأثير اعجاز القرآن يكمن في ذاته وفي تأثره على الأسماع وأثره في القلوب، فالقرآن فيه من عطايا الله ما تحبه وتألفه النفس البشرية ويستميلها فهو يخاطب ملكات خفية فيها ، وهذهِ الملكات الخفية تنفعل حينما يُقرأ القرآن.[2]

فالحقيقة الثابتة أبدا أن للقرآن فوق البلاغة والعذوبة والبيان والحكمة روحانية يدركها من لاحظ له في فهم الكلام وادراك البلاغة، وهذهِ الروحانية تظهر للعارف باللغة وللجاهل بها، وهذه الروحانية تظهر للعارف باللغة وللجاهل بها ، أما ظهورها للعارف فهو بين لا يحتاج لبيان وأما ظهورها للجاهل فهو بتأثيرها ونتيجتها.[3]

وعند النظر في اسلوب القرآن نجد أنه يجري على نسق بديع خارج عن المعروف من النظم المألوف في جميع كلام العرب ، ويقوم في طريقته التعبيرية على أساس مباين ومغاير للمألوف من طرائقهم، وله اسلوب خاص به لا تجد منه عند أي فن من فنون العربية.[4]

والقارئ للقرآن الذي يرتله حق ترتيله سيجد اتساقاً وتناغما وائتلافاً يسترعي سمعه ما تسترعيه الموسيقى والشعر على انه ليس بأنغام موسيقى ولا بأوزان الشعر وسيجد شيئاً آخر لا يجده في الموسيقى ولا في الشعر ، هذا الجمال الاخاذ في لغة القرآن لا يخفى على أحد ممن سمع القرآن حتى الذين يجهلون لغة العرب ، فهل يخفى على العرب ؟ [5] فهناك سر مودع وجلي في كل نص قرآني يشعر به من يواجه نصوص القرآن الكريم ابتداء، ثم يأتي وراء ذلك الأسرار المدركة بالتدبر والنظر والتفكير في بناء القرآن كله.[6]

والثابت الذي لا لبس فيه ويستشعره القارئ للقرآن والسامع له ؛ فإن فيه طاقة روحانية هائلة ذات تأثير بالغ في النفس الانسانية فهو يهز وجدانه ويرهق احساسه ومشاعره ويوقظ ادراكه وتفكيره[7] ، وهذا دليل على ان القرآن الكريم يتفرد بصفته الاعجازية من حيث الاسلوب والخطاب والفحوى والمحتوى ؛ فلا يضاهيه كلام ولا يدانيه كتاب شكلا ومضمونا دلالة على أصالة القرآن الكريم وانه تنزيل من رب العالمين ؛ فكان حقا معجزة النبي محمد ﷺ الخالدة المؤيدة لصدق نبوته .

المطلب الثاني

دلائل تأثيره في الآخرين

لقد بلغ تأثير القرآن مبلغاً خرق به العادة المعروفة من تأثير الكلام في النفوس الانسانية واستيلائه على قلوب المخاطبين وكان فعله في قلوبهم كالسحر وما هو بالسحر ولا يختص ذلك بالمناصرين للقرآن دون

---

[2] () ينظر : الأثر النفسي للقرآن الكريم ، خليفة حسين العسال ، جامعة قطر : 48.
[3] () ينظر : دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدي ، دار المعرفة ، لبنان – بيروت : 7 / 679.
[4] () ينظر : من روائع القرآن، محمد سعيد رمضان البوطي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1420ه – 1999م : 111.
[5] () ينظر : النبأ العظيم، عبد الله دراز، دار القلم ، 2008م : 101 -102.
[6] () ينظر : تفسير في ظلال القرآن، قطب ابراهيم حسين الشاذلي، دار الشروق ، 2011م : 3399/6.
[7] () ينظر : مفهوم الاعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري ، أحمد جمال العمري ، دار المعارف : 264.

الخصوم ولا بمؤيديه دون مخالفيه بل يغزو القلب ويلامس الروح من حيث لا يمكن لصاحبه رد هذا الشعور أو انكاره فيؤثر فيه تأثيرا بليغا من حيث لا يمكن له دفع[8]، فتلحق بقلوب سامعيه واسماعهم جمال وروعة وخشية وخشوع فتعتريهم هيبته وتهيمن عليهم عظمته وترى آثارها على القاصي والداني فنجد وقع ذلك على الجاحدين أبلغ واظهر إذ يقرعهم على ضلالهم ويقيم عليهم الحجج ويستثقلون سماعه فيتولون عنه مدبرين .[9]

ويقول الخطابي : (وإذا أنت وقفت على شروط المعارضات ورسومها ، وتبينت مذاهبها ووجوهها علمت أن القوم لم يصنعوا في معارضة القرآن شيئًا ، ولم يأتو من أحكامها بشيء بتة. والأمر في ذلك بين واضح لا يخفى على ذي مُسكة ذكي والحمد لله) .[10]

فإن للقرآن روعة تلحق قلوب سامعيه عند سماعهم وهيبة تعتريهم عند تلاوته ، وقد أسلم جمع كثير عند سماع آياته إلا من جحد قلبه وعميت بصيرته ، وقد سجل القرآن قساوة قلوبهم رغم علمهم بكونه الحق الواجب اتباعه ، قال تعالى : (وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا) [11] .

وامتاز القرآن الكريم برقي الاسلوب فتجتمع به الفطرة اللغوية بمختلف أوضاع البيان وتوجهات النفس إليه ، فأحسوا بعجزهم وكل منهم يحمل في قرارة نفسه دليل الإعجاز، وإن حمل خلاف ذلك على طرف لسانه ؛ ولذا فقد انقطعوا عن المعارضة ، مع سعيهم إليها على طول المدة وعلى كثرة التأنيب والتقريع [12] .

وكان لأسلوب القرآن الكريم تأثره العميق في نفوس سامعيه ؛ وهذا التأثير هو الذي أنطق الوليد بن المغيرة مخاطباً بني مخزوم : (والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الأنس ولا من كلام الجن، أن له لحلاوة وأن عليه لطلاوة ، وأن أعلاه لمثمر وإن اسفله لمغدق وأنه يعلو وما يعلى عليه) . [13]

وعن جبير بن مطعم قال : (أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأُكَلِّمَهُ فِي أُسَارَى بَدْرٍ، فَوَافَقْتُهُ، وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ الْمَغْرِبَ، أَوِ الْعِشَاءَ، فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ، أَوْ يَقْرَأُ، وَقَدْ خَرَجَ صَوْتُهُ مِنَ الْمَسْجِدِ {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ} فَكَأَنَّمَا صُدِعَ قَلْبِي) .[14]

وكان أثره في نفوس بعض رهبان النصارى أيضا ، وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك بقوله تعالى :ً(وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ).[15]

---

[8] () ينظر : خصائص القرآن الكريم، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ، مركز تفسير للدراسات القرآنية ، 1420هـ - 2000م : 101.

[9] () ينظر : المعجزة الخالدة ، حسن ضياء الدين عتر ، دار البشائر الاسلامية ، ط 3 ، لبنان - بيروت ، 1415هـ - 1994م : 341.

[10] () بيان اعجاز القرآن ، ابو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي (ت: 388هـ) ، ط 3، دار المعارف ، مصر ، 1976م : 66 .

[11] () سورة الاسراء، الآية : 46 .

[12] () ينظر : اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق بن عبد الرزاق الرافعي ، ط 8 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1425هـ - 2005م : 133 .

[13] () ينظر : الكشاف عن حقائق التنزيل، ابو القاسم محمود بن محمد بن أحمد الزمخشري (ت: 538هـ) ، ط 3 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1407هـ : 649/4 .

[14] () المعجم الكبير ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت: 360هـ) ، دار احياء التراث العربي ، ط2 ، 1983 م : 2 / 116 . (حديث رقم : 1499)

[15] () سورة المائدة، الآية : 83.

فالقرآن كتاب هداية وإرشاد يخرج الناس من ظلمات الشرك والجهل الى نور معرفة الله والايمان به والاستجابة له، وقصة اسلام الشاهر المعاصر نقولا حنا شاهد آخر من شواهد تأثير القرآن في نفوس سامعيه فقد تلا نقولا القرآن فجذبه إليه وشغل قلبه وفؤاده وزاده ايماناً بالله وقذف في أعماق قلبه وفكره يقيناً راسخاً بأن هذا القرآن هو كتاب الله المعجز.[16]

وإعجاز القرآن له وجوه شتى منها فضائله وخواصه مثل الروعة التي تعتري قلوب سامعيه كمالا يمله تاليه ؛ بل يزداد حبا له بالمراجعة والترديد ، وهو معجز بالنظر إلى وبلاغته ونظمه وإخباره عن الغيب وموافقته لقضايا العقل ودقة المعنى وقد يظهر هذا كلها في آية واحدة . [17]

ولم يقتصر تأثير القرآن الكريم على بني آدم فقط بل كان له تأثير في المخلوقات الأخرى وعلى سبيل المثال لا الحصر ما جاء في القرآن الكريم على لسان الجن ومدى تأثرهم به عند سماعهم له، قال تعالى : (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا)،[18] فقد أوحى الله سبحانه وتعالى الى نبيه محمد ﷺ ان جماعة من الجن استمعوا له وهو يتلو كتاب الله فتدبروا معانيه وفهموه ودهشوا من عظمته معنى ومبنى. [19]
وكما أخبر القرآن عن جلالته وانه حقيق بأن تخشع له القلوب وترق له الافئدة ، فكذلك يخشع له كل شيء ، قال تعالى : (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)[20] ، أي من عظمته وشأنه وجودة ألفاظه وبلاغته وقوة مبانيه واشتماله على المواعظ التي تميل وتلين لها القلوب ، ولو أنه أنزل على جبل في الأرض لرأيته مع قسوته وصلابته وضخامته خاشعا متشققا من خشية الله سبحانه وتعالى.[21]

المطلب الثالث

حقائق وتجارب علمية

كلما زاد اطلاعنا ومعرفتنا بمادة الوجود وسره وتبينت وانكشفت لنا آياته وخباياه احسسنا أن عظمة الخالق المبدع فوق ما يطيقه ادراكنا المحدود، وأن خضوعنا لله هي الاعتراف بأن مظاهر وجوده أسرت أرواحنا وبهرت اعماقنا .[22]

أنزل القرآن الكريم ليكون علاجاً للنفوس وهداية للعقول ودواء للقلوب وقد تحدث عن نفسه بأنه شفاء[23]، بقوله تعالى :)وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) ،[24] والشفاء هو معالجة داء موجوداً لتبرأ منه ، والرحمة : هو اتخاذ اسباب الوقاية ما يضمن عدم معاودة المرض مرة أخرى فالشفاء علاج والرحمة وقاية ، لكن هل يمكن القول بان شفاء القرآن شفاء معنوي خاص لأمراض القلوب وعلل النفوس فقط ؛ أم هو شفاء للماديات وأمراض البدن كذلك ؟ والجواب : من المؤكد الذي لا ريب فيه أن

---

[16] () ينظر : المعجزة الخالدة، حسن ضياء الدين عتر : 149.
[17] () ينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الآلوسي (ت: 1342هـ) ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت : 1/ 31 .
[18] () سورة الجن، الآيتان : (1-2).
[19] () ينظر : التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ، ط4 ، دار الانوار ، لبنان – بيروت ك 7/ 434.
[20] () سورة الحشر، الآية : 21.
[21] () ينظر : فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني ، دار الفكر – بيروت : 207/5.
[22] () ينظر : نظرات في القرآن، محمد الغزالي ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط6 ، 2005م: 111.
[23] () ينظر : التعبير القرآني والدلالة النفسية ، عبد الله الجيوسي ، دار الغوثاني للدراسات القرآنية ، 2006هـ - 2006م : 119.
[24] () سورة الاسراء، من الآية : 82.

القرآن الكريم شفاء بالمعنى الكامل الشامل العام لهذهِ الكلمة فهو شفاء للماديات كما يعد شفاء للمعنويات.[25]

والنصوص الدالة على ذلك كثيرة وردت في القرآن الكريم قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ)،[26] فالقرآن دواء لداء كبير هو الجهل ، وذلك لأن داء الجهل أكثر ضررا للقلب من داء المرض للبدن، فزوال الجهل أعظم شفاء ، والقرآن يستأصل الجهل ، وكاشف لعمى القلب ،[27] فمن الثوابت ان القرآن مصدر لعلاج النفوس والقلوب والأبدان معاً.

أما في السنة النبوية فقد ثبت أن الرسول (ﷺ) عولج بالرقية وأرشد ووجه أصحابه الى العلاج بالقرآن ، فقد وردفي الأثر : « أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ ، وَيَنْفُثُ » [28].

ويذكر أن المسلمين سبقوا الغربيين بقرون طويلة في مسألة تشخيص الأمراض النفسية وعلاجها مهتدين بذلك بالهدي النبوي ، ونجد اهتمامهم امتد ليشمل الطب النفسي الوقائي، مما قلل هذا النوع من الامراض ، فالأذكار والعبادات هي : نوع من الطب الوقائي الذي يمنع تراكم الكثير من الأمراض النفسية الناتجة من خواطر غير سوية .[29]

المطلب الرابع

المنظور العلمي لتأثير القرآن في النفس الانسانية

إن معجزة القرآن الكريم في عالم الأنفس دائمة وباقية ومستمرة لا تنتهي ولذلك قال تعالى : (وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) ،[30] والهدف من هذهِ المعجزات ليس مجرد أن القرآن سبق علماء النفس في مراحل كثيرة فحسب ، بل هناك هدف أعظم وهو أن نتفكر ونبصر آيات القرآن الكريم لنقوي بها ايماننا ونرتفع ونزداد ثقة بالله عز وجل[31]، عسى أن نكون من اللذين قال الله تعالى في حقهم : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) ،[32] أي فزعت لذكر الله استعظاما له وتهيبا وتخوفا من جلاله وعزه وسلطانه .[33]

وللقرآن الكريم أثر بعيد في القلوب والنفوس وهذا وجه من وجوه إعجازه ، وقد حاول العلماء حديثاً اثبات تأثير إعجاز القرآن في النفس الانسانية ، وتعددت التجارب التي قام بها بعض العلماء المعاصرين في مسعى لإثبات أثر القرآن الكريم في مسألتي التوتر العصبي والهدوء النفسي لدى المسلمين وغير المسلمين ، و كانت النتائج التي توصلت لها هذهِ الدراسات مذهلة بشكل واضح .[34] ومن ذلك البحث الذي قام به الدكتور احمد القاضي لبيان تأثير القرآن الكريم على وظائف اعضاء الجسم البشري ؛ لمعرفة قوة الشفاء بالقرآن الكريم ومعرفة نوع التأثير هو عضوي أم روحي أم خليط من الاثنين ؟ فقام بتلاوة بعض الآيات

---

[25] () ينظر : الخواطر، محمد متولي الشعراوي ، مطابع أخبار اليوم ، 1997م : 8712/14.
[26] () سورة يونس، الآية : 57 .
[27] () ينظر : التفسير البسيط ، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت: 468هـ) ، ط1 ، 1430هـ : 11/ 228 .
[28] () صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري (261هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي – بيروت : 1723/4، برقم : 2192.
[29] () ينظر : أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي، ناهد عبد العال الخراشي ، وكالة الاهرام ، 1987م : 31.
[30] () سورة الذاريات، الآية : 21.
[31] () ينظر : روائع الاعجاز النفسي في القرآن ، عبد الدائم الكحيل : 139.
[32] () سورة الانفال، الآية : 2.
[33] () ينظر : الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، ط 6 ، دار السلام – القاهرة ، 1424هـ : 4/ 2114.
[34] () ينظر : التعبير القرآني والدلالة النفسية : 121.

على مجموعة من الاشخاص منهم المسلم ومنهم غير المسلم ، وفيهم الاصم ومنهم من يتكلم اللغة العربية وبعضهم لا يعرفها ، كما استعمل نصوص غير قرآنية باللغة العربية وتشبه لفظً الآيات ، واستخدم جهاز كمبيوتر صمم لهذهِ التجارب وقام بتوصيله الى أجسام الاشخاص الذين اشتملهم البحث ، وقد أثبتت التجارب المبدئية وجود أثر مهدئ للقرآن الكريم بنسبة 97% منهم وهذا التأثير ظهر على شكل تغيرات فسيولوجية تشير الى انخفاض درجة توتر الجهاز العصبي التلقائي.[35]

وفي تجربة أخرى قام بها أحد المفكرين المسلمين الذي قام بدراسة أثر تلاوة القرآن الكريم على موجات الدماغ من خلال جهاز كومبيوتر خاص يقيس الموجات الدماغية بدقة حيث قرأ الباحث آية الكرسي وشاهد على شاشة الكومبيوتر انتقال المؤشر من سرعة 25 موجة/ثانية الى ما يقارب منطقة التفكير والتأمل العميق والراحة النفسية 8 – 12 موجة / ثانية .[36]

ومن المعلوم أن أي مرض يصيب الانسان لابد أن يحدث تغيراً وخللاً في برمجة خلايا الجسم مما يؤدي الى خلل في عمل وظائفه بشكل طبيعي وبالتالي لابد من أخذ العلاج الكفيل بتصحيح عمل الخلايا ؛ وأحيانا هناك بعض الامراض التي تصيب الانسان فلا يجد لها علاجا سوى كتاب الله العزيز ، فالكتاب الذي يستطيع مخاطبة الموتى قادراً على مخاطبة عقول وقلوب الاحياء والتأثير بهم واستشفائهم من الأمراض التي تصيب النفوس والابدان ، فيقول الله تعالى : (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا) ،[37] أي صاروا أحياء بقراءة القرآن عليهم فكانوا يفهمونه عند مخاطبتهم به كما يفهمه الأحياء ، [38] ولو تأملنا هذهِ الآية بتعمق نتساءل كيف يمكن للقرآن أن يسير الجبال ؛ أو يقطع الأراضي أو يكلم الموتى ، والاجابة عن ذلك أن البيانات التي تخاطب الموتى موجهة لهم وتفهم لغتهم هي موجودة في القرآن ؛ ألا أن الأمر لله سبحانه وتعالى ولا يطلع عليه إلا من يشاء من عباده.[39]

المطلب الخامس

سطوة القرآن في نفوس معارضيه

إن نجاح الدعاية النفسية والفكرية والمعرفية التي أحدثها القرآن الكريم هو الذي قذف الوهن في قلوب خصومه ؛ فحاربوه وفي نفوسهم ريبة واشتباه من موقفهم ، وشك في قضاياهم ؛ بل أن الكثير ممن خاصموا الاسلام كانوا يخفون في داخلهم احترام حقيقته وتصديق رسالته ، وذلك لأن الأدلة التي قدمها القرآن والأساليب التي ساقها حسمت الجدل في جميع الشبهات التي يمكن أن تهجس في النفس ، فصيرت دعوته سامية ورفيعة ، وبلوغ القرآن هذهِ الدرجة والغاية من التأثير في الاصدقاء والاعداء هي بعض اسرار الاعجاز وبعض أسرار الخلود التي كتبها الله تعالى لآياته.[40]

فبلغ تأثير القرآن الكريم في نفوس الكافرين مبلغا حملهم على التواصي فيما بينهم للإعراض عنه ، ووفق هذهِ الحقيقة كأن رؤوس الكفر يخشون سماع اتباعهم للقرآن ، خوفا أن يميلوا إليه ، لشعورهم بقوته وقدرته وسطوته ومدى تأثيره في النفس البشرية ، جعلهم يمنعون سماعه وكان شعارهم في ذلك كما جاء بقوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) ، [41] وهذه شهادة منهم

---

[35] () تجارب علمية تؤكد تأثير القرآن فسيولوجياً في نفوس سامعيه، عاطف الحسيني، مقال في مجلة مداد بتاريخ 11/8/ 2007.
[36] () ينظر : أثر القرآن على قلوب الامريكان، نجيب الرفاعي، مجلة المجتمع ، العدد 1206، بتاريخ 7/2/ 1996.
[37] () سورة الرعد، من الآية : 31 .
[38] () ينظر : فتح القدير ، الشوكاني : 83/3 .
[39] () ينظر : التأثير المذهل للقرآن على الانسان ، مقال .https www.kaheel// :com
[40] () ينظر : نظرات في القرآن، محمد الغزالي : 14
[41] () سورة فصلت، الآية : 26.

على أنفسهم بالانقطاع والميل عن معارضته ، وتسجيلهم واعترافهم بقوة عارضته ، [42] ولا يمكن أن يكون هذا مسلكهم إلا مخافة مما يفعله القرآن الكريم وتأثيره في جذب النفوس الكافرة الى الايمان وهذا ما يميز القرآن عن أي كتاب آخر، [43] فالقرآن هو الروح السارية لإحياء العالم عن طريق اسلوبه المعجز الذي هز النفوس والمشاعر وملك العقول والقلوب، فكان له من السلطان والسطوة ما جعل اعداءه منذ نزوله الى اليوم يخافون بأسه وصولته ويخشون تأثيره أكثر مما يخافون الجيوش والحروب ؛ لأن سلطان الجيوش والحروب لا يتجاوز هياكل الاجسام ، أما سلطان القرآن فقد اسند الى كرائم الأرواح حرائر النفوس فلم يعهد له نظير ومثيل في أي نهضة وحضارة .[44]

ولذا فقد تناول الغربيون القرآن الكريم بالدراسة والبحث ، فكان منذ نزوله والى وقتنا الحاضر كتاباً مقلقاً لهم محيراً لأفكارهم ، وخير دليل الدراسات التي قام بها أعداء الاسلام وخصومه حول القرآن الكريم وغصت بها مكتبات المسلمين والتي تشير الى أثر هذا القرآن فيهم ؛ مما دفعهم الى بذل قصارى جهدهم في التأليف حول القرآن الكريم بشكل عام، ثم الى أثر القرآن الكريم ودوره في التأثير على النفوس.[45]

المبحث الثاني : بواعث التأثير

المطلب الأول

أصالة الآيات

بمجرد الاستماع الى آيات القرآن الكريم تتأثر النفس الانسانية بالقرآن حتى قبل البحث في معانيه وتقصيها ومعرفتها ، فأول ما يسترعي انتباه قارئ القرآن قدسية وجلال ومهابة يشعر بها مرتل القرآن ومستمعه على حد سواء ؛ حيث ينقل الانسان الى جو من الرهبة والهيبة والقدسية ، فيدرك فورا أنه ليس بكلام بشر وأن له سلطاناً ونفوذا على النفوس فوق الارادة والمشيئة بل فوق الشعور أيضا .[46]

فهيبة وقدسية الآيات يكمن ورائهما سر تأثير القرآن في نفوس تاليه ، ولذا فأن القارئ عند تلاوة القرآن الكريم عليه أن يستحضر مصدر الآيات وعظمة المتكلم ، ويعلم أن ما يقرأه ليس من كلام البشر وأن في تلاوة القرآن وهو كلام الله غاية في الخطر .[47]

وحتى طبيعة الرسم القرآني لألفاظ القرآن الكريم لها تأثيرها في النفوس ؛ فقارئ القرآن يشعر بهيبة الرسم القرآني وقدسية ذلك الرسم ، فأصبح جزءا من ذاتية القرآن ، ويمثل مظهرا من مظاهر القدسية التي يستشعر بها القارئ ، فكلمة الرحمن ، والصلاة ، والزكاة ، والحروف المقطعة في بدايات السور كل ذلك يعبر عن قدسية الآيات ويجسد مشاعر دينية فيغذي في النفس شعورا بالراحة والأمن .[48]

وبالتالي فأنه لا يعقل أن النفس الإنسانية لا تشعر بتلك المهابة وتلك القدسية وهي تسمع أو تقرأ أن كل ما في الوجود يسبح لله تعالى ، بقوله جل من قائل : (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)،[49] فكل شيء يسبح بحمد الله

---

[42] () ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ابراهيم بن عمر بن حسن بن علي البقاعي (ت: 885هـ) ، دار الكتاب الاسلامي ، القاهرة : 17/ 140 .
[43] () ينظر : في ظلال القرآن، سيد قطب، 238/7 – 239.
[44] () ينظر : مناهل العرفان، محمود عبد العظيم الزرقاني ، ط3 ، دار الفكر – لبنان ، 1416هـ - 1996م : 295/2 .
[45] () التعبير القرآني والدلالية النفسية : 124.
[46] () ينظر : التعبير القرآني والدلالة النفسية : 127- 128.
[47] () ينظر : إحياء علوم الدين، ابو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: هـ 505) ، دار المعرفة ، بيروت :281/1.
[48] () ينظر : المدخل الى علوم القرآن ، محمد فاروق النبهان ، دار عالم القرآن ، حلب ، 1426هـ - 2005م : 1/ 164.
[49] () سورة الاسراء، الآية : 44.

تعالى وتسبيح الشيء يختلف باختلاف صفاته وخصائصه ، [50] وتستشعر النفس بضآلة وجودها أمام تسبيح هذهِ المخلوقات، فالقرآن الكريم يجعل تاليه ومستمعيه في جو نفسي مهيب ، وتلك هي خاصية الكتاب المبين.[51]

وما يميز القرآن الكريم أن له سلطان ووقار ومهابة يستولي بها على قلوب المخاطبين به استيلاء مطلقا فهو كالقهر وما هو بالقهر، ويغزو القلب ويجتاحه من حيث لا يمكن لصاحبه مقاومة أو رد، فيؤثر فيه من حيث لا يمكن له دفع هذا التأثير ؛ فكان تأثيره في الاعداء كتأثيره في الاتباع . [52]

فيتأتى تأثير آيات القرآن في النفس بان لها قدسية خاصة ومكانة رفيعة لا تدانيها مكانة فهي غذاء للروح وطمأنينة للقلب وصفاء للنفس ونور وهداية للعقل فهي : (أٓ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)،[53] فنظمت آياته تنظيما رصينا محكماً لا يقع في شائبة أو نقض ولا خلل وأودع فيها الحكمة البالغة التي لا يتمكن غيره تعالى على إيداعها فيها وهذا سر آخر من أسرار إعجاز القرآن . [54]

المطلب الثاني

مراعاة القرآن للسليقة الانسانية

لقد خاطب القرآن الكريم الناس بصورة يلمس بها انسانيتهم ويقف معها على طبيعتهم وفطرتهم ، فهو كتاب تشريع وعلم ودين وهداية وغيرها من الخصائص والميزات التي تساير الأغراض والمقاصد الانسانية فهو العالم بأحوالها وسليقتها ، وأمر الله سبحانه وتعالى بتدبر آياته ، ويتجسد ذلك ما جاء بقوله تعالى : (الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)،[55] فمن فوائد التدبر أن يصل العبد إلى درجة العلم واليقين بأنه كلام الله لأنه يراه يوافق بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا فالحكم والقصص والأخبار تعاد في القرآن في مواضع عدة كلها متصادقة ومتوافقة فلا ينقض بعضها بعضا فبذلك يعلم كمال القرآن وأنه من عند الله الذي أحاط علمه بجميع الأمور.[56]

فنرى التصوير الفني للقرآن يلمس أحيانا طبيعة الإنسان بكلمات قليلة ، فيتمثل النموذج واضح القسمات والسمات والصفات ، كقوله تعالى :(خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ)، [57] وتتجلى هذه العجلة في الانسان بسرعة النسيان للضرّ الذي يصيبه ، فيقول سبحانه وتعالى:ٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ، [58]فهو قاصر وعجول ، سريع النسيان أيام الشدة والضر، وقاصر في ادراك النعمة التي لا تستمر ولا تدوم ، لذا فإنه فرح ، فخور بها، لا يفهم أنها إلى زوال . [59]

---

[50] () ينظر : التفسير الكاشف : 5/ 48.
[51] () ينظر : التعبير القرآني والدلالة النفسية : 131.
[52] () ينظر : خصائص القرآن الكريم ، فهد عبد الرحمن الرومي ، ط 10، 142هـ -2000م : 101.
[53] () سورة هود ، من الآية : 1.
[54] () ينظر : الكشاف : 2/ 358 ؛ وروح البيان ، اسماعيل حقي بن مصطفى الاستانبولي الحنفي الخلوتي ، دار الفكر ، بيروت : 4/ 93 .
[55] () سورة ابراهيم، الآية : 1.
[56] () ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن ناصر السعدي ، مؤسسة الرسالة، 1421هـ - 2000م : 190 .
[57] () سورة الأنبياء ، من الآية : 37.
[58] () سورة هود ، الآية :10.
[59] () ينظر : وظيفة الصورة الفنية في القرآن ، عبد السلام أحمد راغب ، ط1 ، مطبعة فصلت للدراسات والنشر ، حلب : 1/ 316 .

وقد يكون لبعض النتاجات والكتابات الادبية البشرية سلطة على المشاعر وجاذبية للنفوس لكنها لم تصل الى مستقر اليقين وأعماق الروح ودرجة الايمان كما تصل آيات القرآن لها ،[60] فلا نبصر من ورائه إلا الميزة والسمة الإنسانية المطلقة ، فمع كل ما يصدر عنه من تشريع وعقيدة وأخلاق وعظات ، فإنما يعطي من ذلك كله ثوبا فصّل على قدر الحقيقة والسجية الإنسانية كلها وكيفما تنوعت وأينما وجدت ، وعند النظر في هذا الثوب لن نجد فيه أيّ مظهر لطابع القبيلة أو البيئة ، سواء في شكله أو مضمونه وجوهره وهذا ما يعني عند وصف القرآن بأنه : إنساني النزعة في موضوعه وأسلوبه.[61]

ففي موضوعاته تتجلى تلك النزعة الانسانية ، حيث تجدها تخاطب الانسان، وتحل مشكلاته وتعرض لحاجاته وتلبي متطلباته، وفي اسلوبه الذي عم الخطاب فيه ليشمل كل بني الانسان، وهو في خطاباته وتشريعاته يراعي ميول النفس الانسانية ويساير طبيعتها ويتدرج في علاجها وهذهِ سمة غالبة في التشريعات التي يتم التدرج فيها كتحريم الخمر في جانب النواهي أو تشريع الجهاد في جانب الأوامر، [62] فالإسلام يحرص على بلوغ الناس أعلى مستوى من الكمال الإنساني ، وهذه مثالية خاصة به ، ولكنه من جانب آخر لا يغفل عن طبيعة وفطرة الإنسان وواقعه ، وهذه سمة الواقعية في الإسلام. [63]
وتتجلى مراعاة القرآن لطبيعة النفس الإنسانية بقوله تعالى : ({حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ) [64]، أي حرم عليكم اكل لحم الخنزير والمراد به : جميع اجزائه واعضائه وإنما خص اللحم بالذكر لأنه المقصود من الاكل والحكمة في تحريم لحم الخنزير هو الاستقذار والضرر الناتج من أكله لرغبته في القاذورات وملازمته لها ، أما ضرره فقد اثبته الطب الحديث.[65]

ومن كرم الله ورعايته وإحسانه على الناس إنه لم يوجب الشرائع دفعة واحدة مسايرة لهم، لكن أوجبها بالتدريج عليهم مرة بعد مرة كما هو الحال في تحريم الخمر، فقد كانوا مولعين بها ومعتادين عليها ، [66] فنزل قوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا)،[67] فتركها عند ذلك بعض المسلمين ولم يتركها آخرون ،ثم نزل قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى)، [68]فتركها البعض أيضاً وقالوا : لا حاجة لنابها فإنها تشغلنا عن الصلاة ، وشربها بعضهم في غير أوقات الصلاة ، حتى نزل قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ، [69]فصارت حراماً عليهم حتى كان بعضهم يقول لبعض لم يحرم الله شيئاً أشد تحريما من الخمر، وذلك لما أدركوه من التشديد فيما حوته هذه الآية من الزواجر فباتت حراماً عليهم .[70]
فكان التدرج في تحريم الخمر مسايرة لهم ولما ألفوه من عادات ، فلو حرم عليهم مرة واحدة لصعب عليهم ذلك لأن من أعسر الأمور وأصعبها على الانسان فطم النفس عن رغباتها وما تحب ، فكان من خصائص الآيات مراعاة السليقة الانسانية بتهيئة النفوس لقبول الحكم فجعل التحريم يمر بمراحله .

---

[60]() ينظر : أسرار ترتيب القرآن ، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع : 1/ 15 .
[61]() ينظر : من روائع القرآن : 216.
[62]() ينظر : التعبير القرآن والدلالة النفسية : 133.
[63]() ينظر : عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة ، سعيد بن علي القحطاني ، مطبعة سفير ، الرياض : 2/ 615 .
[64]() سورة المائدة، من الآية : 3.
[65]() ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان، محمد الأمين بن عبد الله العلوي الشافعي ، دار طوق النجاة ، لبنان – بيروت ، ط1 ، 1421 هـ - 2001م : 102/7.
[66]() ينظر : بحر العلوم ، نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندي ، دار الفكر ، بيروت : 1/ 170 .
[67]() سورة البقرة ، من الآية : 219.
[68]() سورة النساء، من الآية : 43.
[69]() سورة المائدة ، الآية : 90.
[70]() ينظر : فتح البيان في مقاصد القرآن ، أبو الطيب صديق خان بن حسن بن علي الحسيني القنوجي (ت: 1307هـ) ، المكتبة المصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1412هـ - 1992م : 4/ 46 .

المطلب الثالث

الاقناع العقلي والتأثير العاطفي

تمتاز آيات القرآن بطابع مزدوج وقوي لا يمكن أن يتوافر لسواها من الكتابات البشرية؛ وهذا الطابع هو الاقناع العقلي في الوقت ذاته الذي يتحقق فيه الاشباع والامتاع الوجداني.

وتمتاز بأمرين متحدين لا يفترق أحدهما عن الآخر في كل الأحوال ، وكل منهما يضيف للآخر من جماله وجلاله ؛ بما يثبت أن الصورة الأدبية في القرآن ذات طابع مزدوج لا تتواجد في غيرها ، [71]فمعروف أن النفس البشرية فيها قوتان : الاولى هي قوة التفكير والثانية هي قوة الوجدان ، القوة الأولى تغوص لتبحث عن المعاني الباطنة والحقائق المخفية، أما الثانية فتطفو لتبحث في القشرة البادية والجمال الظاهر، والنفس الإنسانية إما أن تغوص مع هذه أو تطفو مع تلك ، ولا تتمكن أن تغوص وتطفو في لحظة واحدة أو وقت واحد ، فحاجة كل منهما تختلف حاجة الاخرى ، ولا يمكن لأنسان مهما كان بليغا أن يفي بحاجة القوتين معا ؛ بينما نجد أن القرآن هو الذي يوفي هاتين الحاجتين في أوضح بيان وأجمل صورة تستسيغها النفس وتميل اليها. [72]

ومع أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب كما جاء بقوله تعالى :(وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)،[73] فالقرآن ذو بيان وفصاحة فهو معجز بنظمه ومعناه ، [74] فمن حيث الكلمات هي ذاتها في اللسان العربي ولكن اختلف في قدرة الكلمة على الاحاطة بما ورائها وغناها وحسنها ؛ وفي ذلك الحسن الذي يقتضي الانجذاب لها والانفعال بها والدخول في محيطها ، والابانة بها ، ويتحقق كل ذلك ضمن تركيب جديد لكل كلمة من سمات وصفات ، بغاية الاتقان والموازنة،[75] ذلك من صنع الله رب العالمين؛ الذي لا يشغله شأن عن شأن القادر على أن يخاطب العقل والقلب معًا ، وأن يمزج الحق والجمال ،[76] ولا يغيب عن الخاطر أن القرآن الكريم لا يتوجه الى إثارة العواطف والمشاعر لقصد الاثارة فقط ، بل لما وراءها من نظر وانتباه ويقظة في جوانب النفس البشرية ؛ فالقرآن يستثير عواطف الناس ويوقظ أفهامهم وعقولهم في آن واحد ، وبعد الاقناع يأمن ويطمئن العقل يسكن ويهدأ الاحساس ، فيشعر الانسان بلذة الفرح والارتياح ، وبذلك ندرك ان للقرآن تأثير كبير في نفوس سامعيه يتساوى في ذلك مؤمنهم وكافرهم ومؤيدهم ومعاندهم لكن كيفية التأثير يختلف فيما بينهم . [77]

والمتعمق في دراسة التشريعات الإسلامية في مختلف نواحي الحياة يفهم ويدرك أن هذه التشريعات ترمي إلى هداية الإنسان في الحياة الدنيا إلى أفضل السبل التي تحفظ للإنسان إنسانيته وتحرر طاقاته الإيجابية نحو الكمال البشري ، وتحفظ نظرته المستقيمة ، وتوفر الاتزان الدقيق في متطلباته البدنية وأشواقه الروحية ، والانسجام التام مع المحاكمات العقلية، مما ينتج الطمأنينة النفسية والهناء في حياته الدنيا ، وهي الطريق إلى الحياة الأزلية في الدار الآخرة . [78]

---

[71]() ينظر : الصورة الادبية في القرآن، صلاح الدين عبد التواب ، ط 1 ، الشركة المصرية للنشر، القاهرة ، 1995م : 179- 180.

[72]() ينظر : النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز ، دار القلم للنشر والتوزيع ، 1426هـ - 2005م : 148؛ دراسات في علوم القرآن الكريم ، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ، ط12 ، 1424هـ - 2003م : 287 ؛ خصائص التعبير القرآني ، عبد العظيم ابراهيم محمد المطفي ، ط 1 ، مكتبة وهبة ، 1413هـ - 1992م : 1/ 164 .

[73]() سورة النحل ، الآية : 103 .

[74]() ينظر : روح البيان : 5/ 83.

[75]() ينظر : الاعجاز القرآني (التبيان – التكون – القراءة) ، عباس أمير ، دار اسامة للنشر والتوزيع ، الاردن – عمان : 56.

[76]() ينظر : النبأ العظيم :150.

[77]() ينظر : الفرقان في بيان اعجاز القرآن ، أبو محمد عبد الكريم بن صالح بن عبد الكريم الحميد ، ط 1 ، 1423هـ - 2002م : 1/ 47 ؛ والتعبير القرآني والدلالة النفسية : 136.

[78]() ينظر : مباحث في اعجاز القرآن ، مصطفى مسلم ، دار القلم ، دمشق ، 1426 – 2005م : 257.

مما تقدم نخلص الى أن القارئ للقرآن الكريم والمستمع له والباحث في علومه يعلم بصورة جلية لا لبس فيها أنه يخاطب العقل ويحاوره ويصل به الى الاقناع التام بدعوته للتأمل والتدبر والتفكر في الخلق لإدراك قدرة الخالق وعظمته ؛ ومع هذا الخطاب العقلي يأتي الخطاب الوجداني الذي يلمس شغاف القلب ويحنو عليه كي يمنح النفس السكينة والطمأنينة؛ فيتعاضد الخطابان ويتحدان من أجل غاية مثلى ألا وهي ايصال النفس البشرية الى مرافئ الايمان والهداية والرشاد .

المطلب الرابع

ايقاع اللفظ القرآني

لقد بلغ القرآن الكريم أعلى وأسمى درجات البيان من حيث لفظه ونظمه ونغماته ومغازيه ومن حيث الصور البيانية التي تتكون في ألفاظه وعباراته ، بل أن كل عبارة تلقى في الخيال والفكر بصورة بيانية مكتملة في روعتها ودقة تصويرها، فكل كلمة لها صور بيانية تنبثق منها منفردة ، وبتأخيها مع أخواتها الكلمات في العبارة تتركب صور بيانية أخرى اضف الى ذلك أن الرنين الموسيقي تنفعل به الاسماع الى القلوب في دلالات ومعان محكمة وحقائق بينة وواضحة وشرائع منظمة الأواصر والعلاقات والسلوك الانساني القويم الذي يهدي الى الصراط المستقيم .[79]

وأول ما يتسم به اسلوب القرآن هو الفخامة والقوة والجلال ، يكتسبها من انتقاء ألفاظه لا امتهان فيها ولا ابتذال، وتشعر بهذهِ الفخامة في كل ما تناوله القرآن من الاغراض ؛ اذ يكتسب الاسلوب القرآني قوته من اختيار ألفاظه وموسيقاه ، وهذا الاختيار والانسجام الموسيقي هو الذي تؤلف فيه العبارات من كلمات مرتبة ومنسقة ذات حركات وسكنات يستشعر المرء عند تلاوتها بما يكمن وراء هذا النظام من اتساق وموسيقى ، وأن هذهِ الموسيقى تكون وراء هذا النظم ، فيتميز بالهدوء عندما يقتضي الأمر هدوء وتأمل وتدبر ، كما في الآيات التي تدعو إلى إعمال الفكر، وفي الأخبار والقصص .[80]

وللموسيقى في عبارات القرآن تساير للمعنى فهو باطلاق في التقريع والاعذار والانذار والتحذير والتخويف... ذو ألفاظ شديدة قابضة، فاذا بشر ووعد بالرحمة وحمد فألفاظه باطلاق ايضاً باسطة بهيجة مشوقة.[81]

ومن الأمثلة في إعجاز الصياغة للنظم القرآني ، قوله تعالى: ﴿ قِيلَ يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَعَلى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذابٌ أَلِيمٌ ﴾،[82] فنجد هذا النغم الموسيقي المدوي الهادر، في وقار ومهابة وسكينة وجلال ، فهو أشبه بأنفاس الموج ، وقد أخذت تهدأ وتسكن بعد انحسار العاصفة.[83]

فكل شيء في القرآن الكريم معجز من حيث قوة الموسيقى في حروفه ، ونظمه المحكم في رنينه ، وتآخيها في كلماته ، وتلاقي الكلمات مع بعضها في عباراته ، وما وصل إليه من انشاء وتأليف بين الكلمات ، وفي كون كل كلمة منسجمة مع أختها ، وكأنما نسيج فكل قطعة منه تكمل صورته، وتوحد أهدافه وغايته ، اذ ان معانيه نجدها مؤتلفة مع ألفاظه ، فتبدو وكأن المعاني وردت متآخية للألفاظ ، وكأن الألفاظ قطعت ووضعت لها، وسويت وفصلت على حجمها .[84]

---

[79] () ينظر : المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بابي زهرة ، دار الفكر العربي: 49.
[80] () ينظر : من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت: 1384هـ) ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، 2005م : 186 – 187.
[81] () ينظر : الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم، لبيب سعد ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر : القاهرة : 332.
[82] () سورة هود ، الآية : 48.
[83] () ينظر : التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: 1390) ، دار الفكر العربي ، القاهرة : 6/ 1150.
[84] () ينظر : المعجزة الكبرى القرآن : 72 .

فمن الجلي أن الآيات القرآنية تتناغم فيما بينها بانسيابية وتأثير وفق نظام عالي ومتقن يمتاز بدقة التصرف الصوتي في بنائها ، فقد يساهم عدد قليل من الأصوات والايقاعات في بناء آية تندرج تحت كلماتها معان متعددة تؤثر في العاطفة والوجدان بشكل مباشر .

المطلب الخامس

تسلية النفس ومؤانستها

أبدع الباري سبحانه وتعالى في خلق الانسان وهو الخبير في تدبير شأنه لعلمه بكل أمر يحيط به ، قال تعالى :(أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)، [85]فهو عليم بالقلوب وتبدل أحوالها ولا يخفى عليه أي سر من أسرارها ، [86] ومن ذلك تظهر آيات القرآن الكريم إدراكا واسعا غير محدود لطبيعة النفس الانسانية وما يعتريها من تقلبات نفسية تؤدي إلى الشعور بالملل والضيق بين الحين والآخر.

ومن المعلوم أن طبيعة النفس الانسانية التي جبلت عليها أنها إذا ألفت الشيء خفي عليها أسراره ، وصرفها هذا الألف عن التفكير فيه واكتشاف ما فيه فالنفس مجبولة على هذا، إلا أن القرآن الكريم في خطابه للنفس الانسانية حارب هذا الركود العاطفي وأبعدها عنه ، وعمل على تجديد حياتها بين فترة وأخرى ، أذ أن الاسلوب القرآني يجعل تاليه ومستمعه في حالة يقظة تامة . [87]

فبذكر الله تهدأ الارواح وتطمئن القلوب وتتحقق تسلية النفوس ، قال تعالى : (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)، [88] وبذكره سبحانه وتعالى تسكن قلوب المؤمنين وتستأنس ويزول عنها القلق ؛ ففي الآية تنبيه انه بذكر الله ومعرفته والإكثار من عبادته تصل النفس الى مقام الاطمئنان . [89]

ومن المؤسف ان كثيرا ممن يعملون بالعلاج النفسي ينجحون أحيانا في التوصل الى أسباب الاضطرابات النفسية ؛ لكنهم يفشلون في علاج هذه الاضطرابات لانهم يهملون جانب مهم وهو بث الايمان بالله تعالى في نفوس المرضى . [90]

والقرآن الكريم وهو خاتم الكتب السماوية ومنبع الايمان الحقيقي للإنسان حمل بين ثناياه وسائله التي تحارب الملل وما تعانيه النفس الانسانية من برودة وركود مما تألفه .

فطبيعة هذا القرآن تقهر برودة الألف وطول المعرفة فتنسلخ النفوس أمامه من التكلف والتصنع ، فتجد نفسها أمام الله سبحانه وتعالى يرعاها يحيطها ويناقشها ويربيها ويؤدبها فما لها من خيار أمام صوت الحق العميق إلا أن تخشع وتذعن ، وكما هزم القرآن نزاعات الجدل في داخل الانسان وسكن حاجته ، كذلك تغلب على شعوره واحساسه بالملل ، فأمده بنشاط لا ينتهي ولا ينفذ . [91]

وتتجلى الحقيقة الخالدة ان أعظم هدية قدمها الله سبحانه وتعالى للبشرية هي القرآن الكريم المعجز في كل شيء وهو المرجع الاصيل الذي يلجأ اليه الانسان المؤمن في كل ما يتعلق بشؤونه ومتطلباته وما ينغص حياته من مشكلات ؛ فمع تطور الحياة انتشر الملل والقلق وأحيانا تضعف النفوس وتعاني من اضطرابات نفسية فيبحث صاحبها عن مخرج لتسلية النفس وتنقيتها مما يعلق بها شوائب غير سليمة ؛ والادراك الحقيق أن كل ما يبحث عنه من علاجات وحلول قد أودعها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم .

---

[85]() سورة الملك ، الآية : 14 .
[86]() ينظر : حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن : 30 / 31 .
[87]() ينظر :التعبير القرآني والدلالة النفسية : 136- 137 .
[88]() سورة الرعد ، من الآية : 28 .
[89]() ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، ت: أحمد محمد شاكر ، ط 1 ، مؤسسة الرسالة ، 1420 هـ - 2000م : 16 / 432 ؛ وجامع البيان ، الايجي : 2/ 273 ؛ وروح البيان : 10 / 431 .
[90]() ينظر : الله يتجلى في عصر العلم ، نخبة من علماء أمريكا ، اشرف على تحريره: جون كلوفر مونسيما ، ترجمة : عبد المجيد سرحان ، دار القلم ، بيروت : 143.
[91]() ينظر : نظرات في القرآن، محمد الغزالي : 106.

الخاتمة وأهم النتائج

الحمد لله الذي أعانني ووفقني في إتمام هذا البحث ، وأوجز أهم ما توصلت اليه من النتائج وفيما يأتي أبرزها :-

1- تعددت وجوه الاعجاز القرآني وأبرز هذه الوجوه هو اعجاز تأثير آياته في النفس الانسانية ، ويأتي هذا التأثير من الفهم الالهي العميق لها .
2- بلغ تأثير القرآن في نفوس تاليه وسامعيه مبلغا كبيرا لما يحمله من هيبة وعظمة تهيمن على العقول والقلوب معا ، ولم يختص هذا التأثير بمؤيديه فقط ؛ بل كانت آثاره على جاحديه أبلغ وأظهر .
3- معجزة القرآن في عالم الانفس ثابتة وجلية ممتدة منذ نزوله وباقية مع بقاء الانسان على هذه الأرض ، فتشير الأدلة أنه سبق علماء النفس في تحديد مكنونات النفس الانسانية ومعرفة أسرارها .
4- أثبتت التجارب العلمية التي قام بها المسلمون وغيرُ المسلمين أن سماع الآيات لها فاعلية كبيرة في شفاء الكثير من الأمراض البدنية والنفسية .
5- بواعث تأثير القرآن في النفس البشرية يعود الى أصالة الآيات ومصدرها وكونها تراعي السليقة الانسانية فتأتي أسرار التأثير من جانب عقلي وجانب نفسي مع الحرص على الموازنة بينهما .
6- فخامة الاسلوب القرآني وقوته في اختار الألفاظ والعبارات المنسقة للتعبير عن كل ما يتناوله من أغراض وانسجامه التام مع الايقاع المعبر كان له عظيم الأثر في النفس .

أهم التوصيات

وعطفا على ما توصلت اليه من نتائج أقدم بعض التوصيات وأوجزها بما يأتي :-
1- الغرض من تقديم الاعجاز القرآني هو ترسيخ الإيمان في النفس واثبات أن القرآن سبق زمانه بعقود طويلة فكل الحقائق العلمية الحديثة أشار اليها القرآن قبل مئات السنين ، ومن هنا تأتي الدعوة الى دراسة الاعجاز بصورة علمية وواقعية .
2- اعداد دورات تعريفية وتثقيفية لتسليط الضوء على الكنوز والدرر التي يضمها القرآن الكريم بين دفتيه .
3- ابراز دور القرآن الكريم ومنهاجه القويم في توجيه الحياة الانسانية في جوانبها كافة من أجل تحقيق الغاية وهي السعادة في الدنيا والآخرة .
4- دعوة الباحثين الى الدراسة والتقصي وفتح آفاق جديدة في ابراز وجوه اخرى من الاعجاز القرآني .
5- لا سبيل الى اصلاح المجتمع الا بإصلاح الذات ويتحقق ذلك بالتطبيق الصحيح للتشريعات التي قدمها القرآن الكريم ؛ لأنه العلاج الناجح والدائم لكل المشكلات النفسية والاجتماعية .

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

1- الأثر النفسي للقرآن الكريم ، خليفة حسين العسال ، جامعة قطر .
2- إحياء علوم الدين، ابو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: هـ 505) ، دار المعرفة ، بيروت .
3- الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، ط 6 ، دار السلام – القاهرة ، 1424هـ .
4- أسرار ترتيب القرآن ، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع .
5- اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق بن عبد الرزاق الرافعي ، ط 8 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1425هـ - 2005م .
6- الاعجاز القرآني (التبيان – التكون – القراءة) ، عباس أمير ، دار اسامة للنشر والتوزيع ، الاردن – عمان .
7- بحر العلوم ، نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندي ، دار الفكر ، بيروت .

8- بيان اعجاز القرآن ، ابو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي (ت: 388هـ) ، ط 3، دار المعارف ، مصر ، 1976م .
9- التعبير القرآني والدلالة النفسية ، عبد الله الجيوسي ، دار الغوثاني للدراسات القرآنية ، 2006هـ - 2006م .
10-التفسير البسيط ، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت: 468هـ) ، ط1 ، 1430هـ .
11-تفسير الخواطر، محمد متولي الشعراوي ، مطابع أخبار اليوم ، 1997م .
12-التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم يونس الخطيب (ت: 1390) ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
13-التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ، ط4 ، دار الانوار ، لبنان – بيروت .
14-تفسير حدائق الروح والريحان، محمد الأمين بن عبد الله العلوي الشافعي ، دار طوق النجاة ، لبنان – بيروت ، ط1 ، 1421 هـ - 2001م .
15-تفسير في ظلال القرآن، قطب ابراهيم حسين الشاذلي، دار الشروق ، 2011م .
16-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن ناصر السعدي ، مؤسسة الرسالة، 1421هـ - 2000م .
17-جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ) ، ط 1 ، مؤسسة الرسالة ، 1420 هـ - 2000م .
18-الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم ، لبيب سعد ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر: القاهرة .
19-خصائص التعبير القرآني ، عبد العظيم ابراهيم محمد المطفي ، ط 1 ، مكتبة وهبة ، 1413هـ - 1992م .
20-خصائص القرآن الكريم، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ، مركز تفسير للدراسات القرآنية ، 1420هـ - 2000م .
21-دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدي ، دار المعرفة ، لبنان – بيروت .
22- دراسات في علوم القرآن الكريم ، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ، ط12 ، 1424هـ - 2003م .
23-روائع الاعجاز النفسي في القرآن ، عبد الدائم الكحيل .
24-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الآلوسي (ت: 1342هـ) ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت .
25-صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري (261هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار احياء التراث العربي – بيروت .
26-الصورة الادبية في القرآن، صلاح الدين عبد التواب ، ط 1 ، الشركة المصرية للنشر، القاهرة ، 1995م .
27-عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة ، سعيد بن علي القحطاني ، مطبعة سفير ، الرياض .
28-فتح البيان في مقاصد القرآن ، أبو الطيب صديق خان بن حسن بن علي الحسيني القنوجي (ت: 1307هـ) ، المكتبة المصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1412هـ - 1992م .
29-فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني ، دار الفكر – بيروت .
30-الفرقان في بيان اعجاز القرآن ، أبو محمد عبد الكريم بن صالح بن عبد الكريم الحميد ، ط 1 ، 1423هـ - 2002م .
31-في ظلال القرآن، سيد قطب .
32-الكشاف عن حقائق التنزيل، ابو القاسم محمود بن محمد بن أحمد الزمخشري (ت: 538هـ) ، ط 3 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1407هـ .
33-الله يتجلى في عصر العلم ، نخبة من علماء أمريكا ، اشرف على تحريره: جون كلوفر مونسيما ، ترجمة : عبد المجيد سرحان ، دار القلم ، بيروت .
34-مباحث في اعجاز القرآن ، مصطفى مسلم ، دار القلم ، دمشق ، 1426 – 2005م .

35-المدخل الى علوم القرآن ، محمد فاروق النبهان ، دار عالم القرآن ، حلب ، 1426هـ - 2005م .
36-المعجزة الخالدة ، حسن ضياء الدين عتر ، دار البشائر الاسلامية ، ط 3 ، لبنان - بيروت ، 1415هـ - 1994م .
37-المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بابي زهرة ، دار الفكر العربي .
38- مفهوم الاعجاز القرآني حتى القرن السادس الهجري ، أحمد جمال العمري ، دار المعارف .
39-من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت: 1384هـ) ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، 2005م .
40-من روائع القرآن، محمد سعيد رمضان البوطي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1420ه – 1999م .
41-مناهل العرفان، محمود عبد العظيم الزرقاني ، ط3 ، دار الفكر – لبنان ، 1416هـ - 1996م .
42-النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز ، دار القلم للنشر والتوزيع ، 1426هـ - 2005م .
43-نظرات في القرآن، محمد الغزالي ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط6 ، 2005م .
44-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، ابراهيم بن عمر بن حسن بن علي البقاعي (ت: 885هـ) ، دار الكتاب الاسلامي ، القاهرة .
45-وظيفة الصورة الفنية في القرآن ، عبد السلام أحمد راغب ، ط1 ، مطبعة فصلت للدراسات والنشر ، حلب .

المقالات -:

1- أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي، ناهد عبد العال الخراشي ، وكالة الاهرام ، 1987م .
2- أثر القرآن على قلوب الامريكان، نجيب الرفاعي، مجلة المجتمع ، العدد 1206، بتاريخ 7/2/ 1996.
3- التأثير المذهل للقرآن على الانسان ، مقال .https www.kaheel// :com
4- تجارب علمية تؤكد تأثير القرآن فسيولوجياً في نفوس سامعيه، عاطف الحسيني، مقال في مجلة مداد بتاريخ 11/8/ 2007.